(الطبقات الكبرى) لمحمد بن سعد ومنهجه

*مبحث فى* دراسات فى تاريخ الرواة وطبقاتهم

*إعداد / أحمد عبد الحميد مهدي*

*قسم الدعوة وأصول الدين*

*كلية العلوم الإسلامية – جامعة المدينة العالمية*

شاه علم - ماليزيا

*ahmed.mahdey@mediu.ws*

**الخلاصة – هذا البحث يبحث فى (الطبقات الكبرى) لمحمد بن سعد ومنهجه
الكلمات المفتاحية – الكبرى، الكبير ، الحديثية**

**المقدمة.I**

 **الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه والتابعين ، سوف نقوم في هذا البحث بمعرفة (الطبقات الكبرى) لمحمد بن سعد ومنهجه**

 **.عنوان المقالII**

**كتاب: (الطبقات الكبرى) أو (الطبقات الكبير) لمحمد بن سعد بن منيع البغدادي كاتب الواقدي، الذي ولد سنة مائة وثمان وستين وتوفي سنة مائتين وثلاثين.**

**و(طبقات ابن سعد الكبرى) أشهر وأجل كتاب صنف في علم الطبقات، اكتسب أهميته من اتساع تراجمه واشتماله على جملة أخبار المترجمين العائلية والعلمية بتفصيل يندر في المصادر الحديثية الأخرى، ومما يزيد من أهمية الكتاب أن مصنفه ضمّ في أوله مصنّفه القيم في سيرة رسول الله  محرّرة متقنة في مجلد كبير فيه نفائس وفُصول قيمة، ولد ابن سعد بالبصرة فروى عن علمائها، وأمعن في الطلب، غير أن مجرى حياته انعطف؛ تعرف على الواقدي بالمدينة فصحبه ولازمه فاستكتبه الواقدي؛ إذ وُلي القضاء ببغداد حتى نُسب إليه، وعن الواقدي أخذ ابن سعد أكثر علمه بالمغازي والسير والرجال والطبقات، وكان يرتضي أحكامه في الجرح والتعديل، وقد روى عنه غالب مصنفاته وقلده فيما صنف، غير أن ابن سعد روى عن شيوخ كثيرين غير الواقدي، حتى إنه يروي عن أقرانه وعمن هم أصغر منه، كما أخذ عن جماعة من أهل الأنساب والتواريخ، كهشام بن الكلب والهيثم بن عدي كما أنه لم يكن مقلدًا للواقدي تقليدًا أعمى رغم تأثره الواضح به.**

**وقد طُبع الكتاب أول مرة في ليدن سنة ألف وثلاثمائة وعشرين بتحقيق جماعةٍ من المستشرقين، وقد بذلوا جهدًا واضحًا في ضبط الكتاب واستكمال نسخه، رغم أن ما بقي منه مِزق متفرقة في مكتبات الأرض، ثم أُتبع الكتاب بفهارس في مجلد واحد، ورغم الجهود الكبيرة التي بُذلت في إعداد هذه النشرة فقد سقط منها في مواضع متفرقة ما يعادل مجلدين أو أكثر، وعن هذه الطبعة نشر الكتاب في مصر سنة ألف وثلاثمائة وثمان وخمسين في مجلدين كبيرين، وقَدم له الشيخ محمد زاهد بن الكوثري ثم نُشر ثانية في بيروت سنة ألف وتسعمائة وسبع وخمسين إلى ألف وتسعمائة وستين ميلادية؛ اعتمادًا على طبعة بعض المستشرقين ومنهم سخاو، وفي هذه الطبعة تصحيفات شنيعة وهي كالطبعة المصرية دون طبعة ليدن في الجودة والدقة، ولم يُستدرك فيهما حرف واحد مما فات الناشرين الأولين تحقيقه، وليس لهاتين النشرتين من فضل غير توفير الكتاب في الوطن العربي، وفي سنة ألف وأربعمائة وثمان نُشر قسم من الكتاب يغطي السقط الكبير في طبقات المدنيين، وقد أتعب المحقق نفسه في ترجمة كتاب الأسانيد ناقلًا كلام ابن حجر في (التقريب) وهو جهد لا يسمن ولا يغني من جوع.**

**وحيث إن ابن سعد ملأ طبقاته الكبرى بالفوائد الحديثية والعلمية الجمة فقد تضخمت بعض التراجم فبلغت عشرات الصفحات، وهذا من شأنه أن يحجب تسلسل الطبقات؛ ولذا رأى أن يصنف الطبقات على وجه الاختصار، فجاء كتابه (الطبقات الصغرى) في مجلد لطيف ذكر ابن خير أنه في ثلاثة أجزاء وقد ذكر سيزكين الكتاب نسخة في اسطنبول في مائة وتسع وثلاثون ورقة، وهذا الحجم يعدل عشرة أجزاء تقريبًا، وبمقارنة النصوص المنقولة عن الطبقات الصغرى بالكبرى نجد أن تقسيم الطبقات في الكتابين مختلف جدًّا، مما يؤكد ما ذهبنا إليه من أن تقسيم الطبقات اجتهادٌ محض، وقد طُبع هذا الكتاب طبعة حديثة باسم كتاب (الطبقات الكبير) وبتحقيق الدكتور علي محمد عمر بمكتبة الخانجي بالقاهرة، ونقف عند منهج الكتاب ثم نبين ما تمتاز به هذه الطبعة من زيادات لم تكن في الطبعات السابقة.**

**منهج ابن سعد في ترتيب كتاب الطبقات:**

**جعل ابن سعد كتابه قسمين؛ قسم للرجال وقسم للنساء، ثم جعل الصحابة الذين يمثلون الجيل الأول من الرجال في خمس طبقات، وبنى تقسيمه هذا على السابقة في الإسلام والفضل، وفي داخل كل طبقة راعى عنصر النسب والشرف، فبدأ الطبقة الأولى وهم أهل بدر برسول الله  ثم الأقرب فالأقرب إلى رسول  في النسب، وصار على هذا المنهج في الطبقة الثانية من الصحابة وهم الذين لم يشهدوا بدرًا ولهم إسلام قديم، وقد هاجر عامتهم إلى أرض الحبشة وشهدوا أحدًا وما بعدها، واتبع المنهج نفسه في الطبقة الثالثة وهم الذين شهدوا الخندق وما بعدها، وجعل الطبقة الرابعة فيمن أسلم عند فتح مكة وما بعد ذلك، أما الطبقة الخامسة فهي فيمن قبض رسول الله  وهم أحداث الأسنان ولم يغز منهم أحدٌ مع رسول الله  وقد حفظ عامتهم ما حدثوا به عنه ومنهم من أدركه ورآه ولم يحدث عنه شيئًا.**

**وبعد أن أنهى حديثه عن الصحابة وعن طبقاتهم تناول طبقات التابعين ومن بعدهم، ولكنه راعى في هذا التقسيم عاملًا جغرافيًّا كما ذكرنا عندما كنا نتكلم عن خليفة، وهو ترتيبهم حسب المدن التي استقروا فيها؛ فبدأ بالمدينة المنورة ثم مكة فالطائف فاليمن فاليمامة فالبحرين ثم الكوفة والبصرة وواسط والمدائن وبغداد وخراسان والري وهمدان وقم والأنبار ثم الشام والجزيرة والعواصم والثغور ثم مصر وأيلى وإفريقيا والأندلس، وفي كل هذه الأمصار باستثناء المدينة المنورة يستهل حديثه بمن نزله من الصحابة ثم يُتبعه بذكر أهل العلم الذين أخذوا عن الصحابة، ثم الطبقة التي تلي هؤلاء ويستمر ابن سعد على نفس المنهج في كل بلد حتى عصره.**

**وكان آخر المراكز التي تناولها في هذا التقسيم الأندلس، ثم تلاها بذكر طبقات النساء وهي تمثل الجزء الأخير من الكتاب؛ وقد بدأ تراجم النساء ببيت رسول الله  فقدم خديجة فبنات الرسول فعماته فبنات عمومته فأزواج الرسول  فمن تزوج ولم يجمع بهن فمن فارق وطلق ومن خطب ولم ينكح فمارية فالمسلمات المبايعات من قريش وحلفائهم ومواليهم فغرائب نساء العرب فالمهاجرات المبايعات فنساء الأنصار، وختم هذه التراجم بأسماء النساء اللواتي لم يروين عن رسول الله  وروين عن أزوجه وغيرهم، على أن الأمر الذي يسترعي النظر أن بعض المترجم لهم قد يهاجر إلى مصر من الأمصار وفي هذه الحالة تتكرر ترجمته تبعًا لكل مصر هاجر إليه أو حلّ به، وقد راعى ابن سعد في هذا الجانب عدم تكرار المادة إلا في حالات نادرة؛ ولذا نجده يترجم ترجمة مطوّلة في موضع ويختصرها في المواطن الأخرى.**

**منهجه في عرض المادة العلمية:**

**تبدو ملامح ابن سعد المنهجية في إيراده للأخبار التي تتسق وصفات المترجم له وما اشتهر به، فمثلًا عرف عن سلمة بن الأكوع أنه بطل المشاة والرماة المبرزين، وعرف عمر بن الخطاب بالصرامة التي لا تعرف الوهن كما عرف حسان بن ثابت بدفاعه عن رسول الله والإسلام، ومن ثم كانت مكونات تراجمهم تتسق وهذه الصفات.**

**يضاف إلى ذلك أن ابن سعد راعى أن يبدأ كل ترجمة بتحقيق نسب المحارب متحدثًا عن نسب أبيه ونسب أمه متتبعًا سلسلة هذه الأنساب إلى أجيال عديدة، ثم ينتقل إلى الحديث عن أولاده وأمهاتهم متحدثًا عن نسب هؤلاء الأمهات أيضًا، ويسود في منهجه بالنسبة لتراجم الصحابة الاستطراد في الحديث عن سلسلة الصحابي المحارب وعن تاريخها وعما إذا كانت ذريته بقيت بالمدينة أو رحلت عنها متخذة لها من أي مكان آخر بالدولة الإسلامية موطنًا، كما يبين ابن سعد الوقت الذي اعتنق فيه الصحابي المحارب الإسلام وأسلم على يدي رسول الله وعن ترتيبه في الدخول في الإسلام وهل كان الخامس أو السادس مثلًا، كذلك لا ينسى ابن سعد أن يذكر ما إذا كان الصحابي الذي يُترجم له قد اشترك في الهجرة الأولى إلى الحبشة أم الثانية أو لم يشترك، وفي النهاية يصف ابن سعد نهاية الصحابي متحدثًا عن كيفية الوفاة وعن سببها وزمانها، وغالبًا ما يتردد ذكر وقعة اليمامة التي حدثت في الثانية عشرة من الهجرة، والتي استشهد فيها كثيرون من قُدام الصحابة.**

**وحينئذ نجد اهتمامًا خاصًّا بتفاصيل ما كان يصنع بالصحابي بعد موته، والدفن، ومن غسلها وبما كفنت وهل حُملت الجثة إلى المسجد حيث يُصلى عليها أم هرول بها الجمع سراعًا إلى المقابر حيث تدفن، ولا يفوته أن يذكر من الذي خطب أمام القبر وكم عدد التكبيرات التي كبّر بها ومن الذي نزل القبر مع الجثة ليودع الميت الوداع الأخير.**

**وغالبًا ما كان ابن سعد يحرص على أن يصف المظهر الخارجي للصحابي؛ ليتمكن القراء من تصوره، وكان يهتم اهتمامًا خاصًّا بتبيان ما إذا كان الرجل يخضب شعره ولحيته أم يتركهما بلا خضاب، وإذا كان يخضبهما فبمَ؟ كذلك يتحدث عن الثياب والعمائم وعن المادة التي تُصنعان منها وعن اللون، ثم يتحدث عن الخاتم وعن معدنه وعن النقش الموجود عليه إن وجد وفي أي أصبع كان يلبس، وربما كان يهتم بالخاتم لأنه كان يُختم به في الرسائل وفي المواثيق، فكان له شأن أكثر من أنه يُلبس في اليد.**

**وأخيرًا فإنه بالنسبة لبعض الصحابة يتحدث عن وصاياهم صيغةً وفحوى، وهل كانوا يُشهدون عليها الشهود بالتوقيع أم لا؟ مبينًا الثروة التي خلّفوها وراءهم، هذا ولا يقل الجزء الأخير الخاص بالنساء شأنًا عن الأجزاء السابقة من حيث الإسهامات التي قامت بها المرأة آنئذٍ، وكذلك ما قامت به من إثراء للحياة الثقافية والفكرية للإسلام، كذلك يعتبر هذا الجزء مصدرًا خصبًا لمعرفة الحياة المنزلية آنذاك، كما أنه لا يختلف عن غيره من الأجزاء في أنه كان وسيلةً لنقد الإسناد، والمؤلف إنما يهتم بالنساء في المقام الأول باعتبار أنهن شاهدات على الحديث، ويلزم لصحة الحكم على الرواة وتعديلهم وتجريحهم معرفة أحوالهم المعيشية؛ لذلك جمع كل ما يمكن من الأخبار التاريخية القيمة، وقد اهتم بصفة خاصة بالأخبار الثقافية التاريخية طبقًا لما يمليه عليه وضع المرأة المفروض في الإسلام، فإلى ابن سعد يرجع الفضل الذي لا يُنسى في جمع أخبار وروايات تحوي من التفاصيل المسهبة ما بدا له ولرفقاء عصره على غاية من الأهمية باذلًا في جمعها جهدًا مضنيًا.**

**إضافات الطبعة التي حققت هذه:**

**أضافت هذه الطبعة ألفًا وثلاثمائة وثمان وخمسين ترجمة؛ منها مائتين وثنتين وخمسين ترجمة، وهم في الطبقة الثانية من الأنصار ممن لم يشهد بدرًا وشهد أحدًا وما بعدها من المشاهد، وتشمل أرقام التراجم من أربعمائة وست وستين إلى سبعمائة وسبعة عشر من الجزء الرابع من هذا الكتاب، وقد اشترك رجال هذه الطبقة في الملامح المنهجية العامة في كتابات ابن سعد؛ فبدأت كل ترجمة في الغالب بتحقيق نسب الصحابي، ثم تناول ابن سعد نسب أبيه ونسب أمه متتبعًا سلسلة هذه الأنساب إلى أجيال عديدة، ثم ينتقل الحديث عن أولاده وأمهاتهم متحدثًا عن نسب هؤلاء الأمهات أيضًا، كذلك يتحدث عما إذا كان قد انقرض عقبه أو لا، ثم يذكر ما إذا كان قد مات شهيدًا وفي أي الغزوات كان ذلك، وأحيانًا يشير إلى بعض ما يحدث لبعض المترجَمين في الغزوات، فيذكر أنه شهد غزوة كذا وقطعت رجله يومئذ، وفي بعض الأحيان يصرح باسم من قَتل الصحابي في المعركة، وإذا كان الصحابي شهد أحدًا ولم يمت فيها شهيدًا فإنه يضيف إلى ذلك أنه قتل بعد ذلك شهيدًا يوم الخندق أو يشير إلى أنه شهد أحدًا والخندق وما بعدهما من مشاهد وقُتل يوم اليمامة شهيدًا وأحيانًا يذكر مكان الدفن، بل في بعض الأحيان كان يتناول تفصيل دقيقة عن حياة الصحابي كذكره لخاتم حذيفة بن اليمان من حيث معدنه ونقشه وما كُفن به الصحابي ونوع الكفن وثمنه، ويخضع طول الترجمة أو قصرها في هذا القسم للمعلومات المتوفرة لدى المؤلف عن صاحب الترجمة، فإذا كان المترجم له من الأشخاص الذين لهم دور هام في الحياة العامة وما يصحب ذلك من حوادث التي تظهر وقتئذٍ فإن ترجمته تطول تبعًا لذلك.**

**أما الطبقة الثالثة من المهاجرين والأنصار ممن شهد الخندق وما بعدها فقد بلغ عدد تراجمهم ثلاثمائة وتسع، وتشمل أرقام التراجم من سبعمائة وثمان عشرة إلى ألف وست وعشرين من الجزء الخامس، وقد اتبع ابن سعد نفس المنهج الذي اتبعه في الطبقات السابقة؛ من ذكر نسب الصحابي ونسب أبيه ونسب أمه، متتبعًا سلسلة هذه الأنساب إلى أجيال عديدة، ثم ينتقل كذلك إلى الحديث عن أولاده وأمهاتهم متحدثًا عن نسب هؤلاء الأمهات أيضًا.**

**وفي الطبقة الثالثة من الأنصار ممن شهد الخندق وما بعدها من مشاهد خضع طول الترجمة أو قصرها كذلك للمعلومات المتوفرة لدى المؤلف عن صاحب الترجمة.**

**وفي الطبقة الرابعة من الصحابة ممن أسلم عند فتح مكة وبعد ذلك قد بلغ عدد التراجم منها ثلاثمائة وأربع وأربعين، تبدأ بالترجمة رقم ألف وسبع وعشرين وتنتهي بالترجمة بالترجمة رقم ألف وثلاثمائة وست وستين من الجزء الخامس من هذا الكتاب، وقد سار ابن سعد فيها كذلك على الملامح المنهجية العامة التي أشرنا إليها عند الحديث عن بعض المترجم لهم في المنهج العام وهو هنا كذلك.**

**أما الطبقة الخامسة من الصحابة وهي الطبقة الخاصة بمن قُبض رسول الله  وهم أحداث الأسنان ولم يغزُ منهم أحد فقد بلغ عدد التراجم فيها ستًّا وأربعين ترجمة، وتبدأ بالترجمة رقم ألف وثلاثمائة وسبع وستين، وتنتهي بالترجمة ألف وأربعمائة وثنتي عشرة من الجزء الخامس من هذا الكتاب، كذلك كان مما قدمته هذه الطبعة قسمًا كبيرًا من تابعي أهل المدينة ومن بعدهم، وهم يشملون من ربع الطبقة الثالثة إلى منتصف الطبقة السادسة، وقد بلغ عدد تراجم هذه القسم أربعمائة وسبع، تبدأ بالترجمة رقم ألف وثمانمائة وإحدى وعشرين، وتنتهي بالترجمة رقم ألفين ومائتين وثمان وعشرين من الجزء السابع من هذا الكتاب.**

**وهكذا تكتمل الصورة لكتابات ابن سعد في (الطبقات الكبير) بعد أن ظلت محجوبة عن الباحثين رَدحًا من الزمن كما يقول محقق الكتاب، وقد بدت لنا الصورة واضحة عن هذا الكتاب.**

**المراجع والمصادر**

1. **(علم رجال الحديث)**

**تقي الدين الندوي المظاهري، المدينة المنورة، مكتبة الإيمان، 1987م.**

1. **(علم الرجال وأهميته)**

**عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني, دار الراية للنشر والتوزيع, 1417هـ.**

1. **(علم طبقات المحدثين: أهميته وفوائده)**

**أسعد سالم يتم، مكتبة الرشد, 1994م.**

1. **(تاريخ خليفة بن خياط)**

**خليفة بن خياط الشيباني، تحقيق: أكرم ضياء العمري, بيروت، مؤسسة الرسالة, 1977م.**

1. **(الطبقات)**

**خليفة بن خياط الشيباني، الرياض، دار طيبة،1982م.**

1. **(التاريخ الكبير)**

**عبد الله بن اسماعيل بن ابراهيم البخاري، بيروت، دار الكتب العلمية، 1884م.**

1. **(الجرح والتعديل)**

**عبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس أبو محمد الرازي التميمي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، 1952م.**

1. **(مناهج المحدِّثين في رواية الحديث بالمعنى)**

**عبد الرزاق بن خليفة الشايجي، بيروت، دار ابن حزم للطباعة والنشر، 1419هـ.**

1. **(الضوء اللامع المبين عن مناهج المحدثين)**

**أحمد محرم الشيخ ناجي, مطبعة الصفا والمروة, 2001م.**

1. **(من روى عن أبيه عن جده)**

**الزين أبو العدل قاسم بن قطلوبغا، تحقيق: فيصل الجوابرة، المعلا، الكويت، مكتبة ابن سعد محمد بن سعد، 1988م.**

1. **(الرواة من الأخوة والأخوات)**

**علي بن المديني أبو داود السجستاني، تحقيق: باسم فيصل الجوابرة، دار الراية للنشر والتوزيع، 1988م.**

1. **(الكنى والأسماء)**

**محمد بن أحمد الدولابي،حيدر آباد، دائرة المعارف النظامية، 1322هـ.**

1. **(طبقات الحنابلة)**

**محمد بن محمد بن الحسين البغدادي أبو يعلى الحنبلي، مطبعة السّنة المحمدية، 1371هـ.**

1. **(الطبقات الكبرى)**

**ابن سعد محمد بن سعد، تحقيق: إحسان عباس، دار بيروت للطباعة والنشر، 1405هـ.**